

كورونا يمنح البجعة السوداء قابلية للحياة السياسية

الإسئلة الحرجة وتطول معها الإجابات الملتبسة، بالتالي من المفيد تعميم البجعة السوداء وتوسيع دورها في الأدبيات السياسية، فالصدمة القاتلة التي سببها كورونا أصابت دولا كثيرة بالهواجس، ولم يعد الخوف ملازما للإنسان فقط بسبب همومه واليات حلها، بل لحق بالقوى المعنوية المسؤولة عنه، وانعكس على ماهية دورها، بما يتجاوز عملية الطعام والشرب والكهرباء والمواصلات وكل أنواع الرفاهية المعروفة وغير المعروفة. رفع الوباء الكثير من الحجب والأغطية عن الحكومات، ووضع قادة وزعماء أمام مسؤوليات جديدة، تتطلب إمعان النظر في قراءة المستقبل والتحسب من خباياها الوعرة، وتحديد المهام، ورسم التهديدات غير المرجحة ووسائل مواجهتها، بعد أن حطم كورونا ثوابت العقل البشري. لعل المشاهد التراجيدية التي تصاحب المؤتمرات الصحافية التي يعقدها الرئيس الأميركي دونالد ترامب تبين الإهتزاز ولاي درجة انخفض نجم الطاووس وطاها رأسه بعد أن أربع دولا في الشرق والغرب، وتصرف مع بعض القضايا بما لا يتناسب مع الموروث.

تكفي المشاهد الذليلة التي رأيناها لقادة كبار لتقدم دليلا قاطعا على أن البجعة السوداء لا مفر منها، وقد تصبح ملاذا لكثير من زعماء الدول والحكومات لتجنب الانكسارات القادمة، ففكرنا النتائج التي حصلت من وراء كورونا ربما يحمل في جوفه فناء لأشياء يصعب تخيلها، يستوجب توفير مرونة فائقة في التنقب بالكوارث السياسية قبل الطبيعية.

عشر سنوات، عندما طلبت مني إدارة تحرير مجلة السياسة الدولية المصرية كتابة مقال مطول عن مصير الأزمة اليمنية، بعد حدوث انتفاضات وثورات في دول عربية عدة، وفقا للقواعد التي أرستها البجعة السوداء، ونشر بالفعل في عدد يوليو 2011، وانصبت فكرة المقال على حدوث تدخل عسكري منظم سوف تقوم به الولايات المتحدة ذاتها، وغزو اليمن والسيطرة على مقاليد الأمور فيه، وتحديات ما بعد الخطوة.

إذا كان وباء واحد أحدث كل هذا الانهيار، فما بالنا إذا تكاثرت الأوبئة، وهو التحدي الحاسم الذي يتجاوز قدرات علماء الفيروسات، لأن المتابعة يجب أن تمتد إلى ملفات أخرى تبدو بعيدة عن أعين المهتمين

طبعاً لم يحدث الغزو مباشرة، وربما لن يحدث، لكن الموضوع بدأ شيئاً ومتسقا مع فكرته الرئيسية، المتسوغات المنطقية التي استند عليها، وبعد أن فاجأنا كورونا بهومته غير المتوقعة أصبح علينا ألا تفارق حياتنا الشخصية والعامة البجعة السوداء، فمن الممكن أن يكون الفيروس ظهر لبعدها ويغير أنماط تفكيرنا ويفرض طقوسه في كل كبيرة وصغيرة.

تعرف الدول المتقدمة والنامية علم المستقبلات، ويوجد كثيرون التعامل مع نواميسه المتباينة، وهو مبني على حقائق وقضايا ومبتكرات، وخلافه، وما ينتظرها بعد سنوات معينة، طالت أم قصرت، وتغلب عليه حسابات تخرج غالبا من رحم الواقع وتطورات المنتظرة، مثل الهبوط على سطح القمر وقياس فكرة الحياة البشرية هناك، ووجود كائنات أخرى، وحروب الكواكب والنجوم، والنماذج المقلدة من التكنولوجيا الرقمية، والوظائف المتعددة للإنسان الآلي.

بدأ العقل البشري يستوعب كل ما سبق ويدرس أجياله المتطورة والحدود التي يمكن أن يصل إليها، وهو ما يفرض أن يصاحبه توسيع في نطاق توظيف البجعة السوداء في القضايا السياسية، ويبدو أنها ستحتل أولوية، فأزمات أخرى من نوعية كورونا غير مستبعدة، قياسا على النموذج الحالي وما يحمله من مكونات جينية لأخطار بعيدة باتت أقرب مما نتصور.

لذلك من الضروري قطع مسافات كبيرة لمعرفة شكل الدولة ودورها الحقيقي، والقوى المؤثرة في النظام العالمي، ومعايير القوة الناعمة وحدود الشسونة، فنحن أمام عالم متلاطم ومختلف يتطلب أن تكون توازناته منبجعة من البجعة السوداء، أو التخييلات السياسية البعيدة.

تأتي أهمية التوقف عند هذه المحطة من عدم القدرة على تخيل الشكل الذي سوف يستقر عليه العالم السنوات المقبلة، وتحديد القوى العظمى المهيمنة فيه، وعموض مكانة الولايات المتحدة، والشكوك التي تصاحب هضم تحول الصين إلى بديل لها، ومعرفة عناصر أدوات التفوق، هل هي العلم والأسلحة

والتقدم الاقتصادي والتكنولوجي، وما هو ترتيب الأولويات، على أي أساس يتم شن الحروب والصراعات والقبول بالسلام والتسويات؟ تطول قائمة

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

قدم باحثون في مجال الفيروسات دراسات علمية منذ سنوات حذرت من احتمال ظهور أنواع أكثر فتكا، مثل كورونا المستجد وعائلات أخرى متوقع أن يشهدها العالم مستقبلا عندما يكتمل تمحورها. لم تنتبه جيدا الدوائر المعنية بالامر لتتخذ الاحتياطات الواجبة، بدلا من استهلاك الوقت الحاصل حاليا للتوصل إلى لقاح مناسب لـ"كوفيد - 19" الذي لا نعرف متى يمكن خروجه للنور وإجازة استخدامه طبييا.

يستخدم التوقع في علوم عديدة على سبيل الحماية من المجهول، بينما تظل هذه من قبيل العصف الذهني في المجال السياسي، ولها فروع عديدة، أبرزها ما يعرف بنظرية "البجعة السوداء"، وتعتمد على توقع ما يصعب توقعه بالنسبة للأحداث، فالسائد أن كل البجع أبيض. عندما تم اكتشاف وجود نوع أسود في أستراليا منذ عقود تحطمت الفكرة الرائجة سابقا، وأوحت إلى خبراء العلوم السياسية بتوظيفها في مجالهم، فتمت تطورات لم يخطر حدوثها على بال، لكن جرى التحسب لها وفقا للبجعة السوداء.

ضرب كورونا كل التوقعات الخاصة بالبجع وأنواعه، من الناحية السياسية، وأثبت أن وباء صحيا واحدا قد يكون كفيلا بحمل تداعيات تحير العالم في كل المجالات تقريبا، سياسية واقتصادية وأمنية.. وله تأثيرات على البشرية جمعاء، بالتالي من الواجب تغيير المسارات في فضاءات لم تخطر على عقل عالم أو خبير أو مجتهد، كما هو الحال بالنسبة لكورونا.

وضعت الجائحة ومراراتها المتنوعة قواعد جديدة في التفاعلات المختلفة التي يصعب حصرها حاليا، ومرجح أن نرى جيلا عليه أن يتعامل مع الأحداث والأمراض غير المتوقعة، ولا يمنح ما هو متوقع الكثير من الاهتمامات، فقد صار أمرا عاديا يمكن أن يقوم به البسطاء، بينما من يفكرون في المستقبل شواغله وتعميداته عليهم الانتباه لكل ما هو غير مرئي، لأنه الأخطر والأشد تدميرا، فكل المشكلات والجوائح والأزمات المنظورة من السهل تطويعها.

أرخص كورونا بحمم كثيفة من القلق والتوتر لم تطرأ على عقل بشر، هنا يمكن الخطورة، لأن انخفاض أسعار النفط مثلا إلى أدنى مستوى تم تخيله، لم يكن بعيدا عن أنظار دول نفطية خليجية، فوضعت خططا طموحة منذ سنوات لعقود مقبلة دون الاعتماد على هذه السلعة فقط، وهي توقعات فطنة، غير أنها لا تتبعد عن فلسفة البجع الأبيض المعتادة.

يجد المهتمون بالتطوير أنفسهم في حيرة كبيرة، فإذا كان وباء واحد أحدث كل هذا الانهيار، فما بالنا إذا تكاثرت الأوبئة، وهو التحدي الحاسم الذي يتجاوز قدرات علماء الفيروسات، لأن المتابعة يجب أن تمتد إلى ملفات أخرى تبدو بعيدة عن أعين المهتمين، أو بمعنى آخر ستتحول حياة الدول والشعوب والقوى الفاعلة إلى بجع أسود، والتفكير في كل ما يصعب حدوثه.

بدا اهتمامي بهذه النظرية منذ حوالي 10 سنوات، وأنا نحن نحتاط، وبيضا حتى تحوطنا نفسه، فلا نعرف ماذا نختار. كورونا، أفهل تفلته عدوا شرسا، لا تراه العين، يتخفى أو يتسلل ليصيب ويؤذي أو يقتل. لا يفرق بين الناس، لا في أعمالهم ولا في أعمارهم، ولا في طبائعهم ولا في ما يملكون أو لا يملكون؟

أفهل تراه جانحا وجامحا لم تقدر عليه الدبابات ولا المدافع ولا الصواريخ؟ أفهل تراه وحشيا يُضعف القوى ويذل المغرور ويهزم المقتدر؟ إنه، على وجه الحقيقة، أضعف من رغبة الصابون، فأغسل يديك.

النهاية هي نفسها.. فأغسل يديك



ولئن جارك الجور، أو تمنيت أن يقع أحد، أو يخسر تجارته أحد، أو يضار بعلة أحد، فأغسل يديك. إنها هي النهاية ذاتها. إذا أصابت الطيب والشير، الطاهر والفاجر، العادل والظالم، العاقل والمجنون. وإذا لن تأخذ قشة مما جمعت أو مما اجتمع عليك أو فيك أو لديك، فأغسل يديك. فأبى ربك المنتهى.

لأشياء يُغني في ساعة الشدة إلا ذلك. كورونا هو ربما ساعة الحقيقة الأخرى التي جاءت لتطلب تطهرا من كل شيء، وإخلاصا في كل شيء، ومحبة لكل شيء، وتزاهة وروحا تتطهر، وتعاونوا على الخير والعمران. كل التقدم العلمي والتكنولوجي يقف أمامه اليوم حائرا وعاجزا. إلا الصابون.

إن كنت مسؤولا في حكومات جماعات طائفية فأغسل يديك مما أصابها من طين الفساد. أو كنت مليونيا أو بليونيا فأغسل يديك من دم الذين قتلتهم، أو كنت إخوانيا، فأغسل يديك من شعب خنته ووطن أهنته وضحايا تسببت بقتلهم، أو كنت حزبيا على فكرة عيباء، فأغسل يديك مما لم تبصره عينك ولا بصيرتك. أو كنت ثريا تنفق على جماعات هدم وتفجيت وتخريب، فأغسل يديك.

ولقد "تقدمت" البشرية كثيرا. هكذا نتعقد. ولكن أترأها تقدمت فعلا؟ نحن منذ أن قتل قابيل أخاه هابيل ونحن على الطياع ذاتها. لم تنفع التكنولوجيا، ولا ظهر العلم قادرا على تغيير إلا القليل من المسالك، ولا هو كعب الكراهية ولا وضع حدا للتمييز ولا كف عن الجرائم. وما تزال البشرية تفسد في الأرض وتفسد الدماء وكان شيئا لم يكن. بل إن "التقدم العلمي" المزعوم زادها وحشية، وفاقم الفقر، وأفسد في موازين الأرض والسماء، حتى خرق الأوزون. هذا عالم لا سلاح لك فيه أفضل من الصابون. فأغسل يديك.

ولقد لوئنا أنهاره ويحاره بأحماض المصانع والبلاستيك. وجعلنا الظلم يطغى بين أيدي الظالمين. وجعلنا البيض منا الدجل في الدين رزقا له، فأفسده بالسياسة، كما أفسد السياسة بالدين، فأغسل يديك. ولئن وجدت نفسك "معتدلا" في ما أفسدت، أو كنت متطرفا أو غلويا أو طائفا، فأغسل يديك. إذ لا طاهر في هذا المستنقع، إلا وكان وسخ العمامة، وسخ ما تحتها.

فإذا واجهت باطلا أو وجهته، فأغسل يديك. وإذا فزت بجائزة أو خسرتها فأغسل يديك، وإذا لقيت صديقا أو عدوا فأغسل يديك، وإذا لقيت خيرا أو لقيت شرا فأغسل يديك، لأنه ما من شيء يبقى، ولأنه ما من مال ولا خوف ولا حب ولا فقر ولا غنى، إلا ويمضي، لتلقف أمام النهاية وحيدا. أنت والصابون.

ولقد حشرنا في زاوية لم نحشر بمثلها من قبل. وإغلق على معظمنا الأبواب، وأخاف البشر من بعضهم، وأبعد الأقارب والأصدقاء، وأخافهم حتى من مقابض الأبواب، ومن الربح إذا هبت، وكشف في العزلة من النفوس ما لم يُكشف، ومن الرضا ما لم يُطل. لتتوجز على نحو مبهر ما يعجز الأدب عن إيجازه. ووضع الجميع في خندق واحد. حتى كانه قال، إن كنت ممن يتباطون شرا أو يتربصون قبحا، فأغسل يديك من كل ما تلطخت به من صغائر أو كبار. فالنفوس التي ضاقت بالضغينة والكراهية والحسد أو الكذب والنفاق، أو الإساءة أو الغش، وكل المخادعات الأخرى، قد تلطخت يديك بما لم تزله معققات الرشد والنصيحة ولا الدين. فأغسل يديك. فقد جاء وقت الصابون، لتتعرف عليه. إن هو إلا صديق.

وإن كنت مسؤولا في حكومات جماعات طائفية فأغسل يديك مما أصابها من طين الفساد. أو كنت مليونيا أو بليونيا فأغسل يديك من دم الذين قتلتهم، أو كنت إخوانيا، فأغسل يديك من شعب خنته ووطن أهنته وضحايا تسببت بقتلهم، أو كنت حزبيا على فكرة عيباء، فأغسل يديك مما لم تبصره عينك ولا بصيرتك. أو كنت ثريا تنفق على جماعات هدم وتفجيت وتخريب، فأغسل يديك.

هذا كورونا يناديك. فالنهاية واحدة. ولا بد من قبل الوصول إليها، أن تغسل يديك. أن تتطهر مما حملت. وأن تضع الحمل كله، خيره وشيره، كامله وناقصه، ما قلته وما لم تقله، ما فعلت وما لم تفعل، ما قدمت وما أخرت، لكي تاتي النهاية كما يحسن أن تاتيها طاهر اليبين، إن لم يكن خوفا من فيروس، فخوفا مما تركت خلفك.

هي النهاية نفسها. العدو الذي يلاحقنا في كل مكان، والذي يجروا على أن يحشرنا خلف أبواب مغلقة، ليس عدوا فقط. إنه دعوة جامعة أيضا، لكي يغسل الكل يديه.

بل وقد يمكن أن تغسلها من الدنيا كلها، بكل ما رفعت وما أخضعت. وبكل ما أعطت وما أخذت. إذ لا شيء يستحق فيها أن تعبر الحاجز، مصابا أو متعافيا، وأنت تحمل وزرا.

علي الصراف
كاتب عراقي

قال كورونا ما لم يقله أحد: أغسل يديك. ولكن من ماذا؟ وهل حملت اليد ما حملت حتى تبلى بعدو شرير، يتخفى فيتسلل دون أن يدرك مراميه أحد؟

ولقد حشرنا في زاوية لم نحشر بمثلها من قبل. وإغلق على معظمنا الأبواب، وأخاف البشر من بعضهم، وأبعد الأقارب والأصدقاء، وأخافهم حتى من مقابض الأبواب، ومن الربح إذا هبت، وكشف في العزلة من النفوس ما لم يُكشف، ومن الرضا ما لم يُطل. لتتوجز على نحو مبهر ما يعجز الأدب عن إيجازه. ووضع الجميع في خندق واحد. حتى كانه قال، إن كنت ممن يتباطون شرا أو يتربصون قبحا، فأغسل يديك من كل ما تلطخت به من صغائر أو كبار. فالنفوس التي ضاقت بالضغينة والكراهية والحسد أو الكذب والنفاق، أو الإساءة أو الغش، وكل المخادعات الأخرى، قد تلطخت يديك بما لم تزله معققات الرشد والنصيحة ولا الدين. فأغسل يديك. فقد جاء وقت الصابون، لتتعرف عليه. إن هو إلا صديق.

وإن كنت مسؤولا في حكومات جماعات طائفية فأغسل يديك مما أصابها من طين الفساد. أو كنت مليونيا أو بليونيا فأغسل يديك من دم الذين قتلتهم، أو كنت إخوانيا، فأغسل يديك من شعب خنته ووطن أهنته وضحايا تسببت بقتلهم، أو كنت حزبيا على فكرة عيباء، فأغسل يديك مما لم تبصره عينك ولا بصيرتك. أو كنت ثريا تنفق على جماعات هدم وتفجيت وتخريب، فأغسل يديك.

هذا كورونا يناديك. فالنهاية واحدة. ولا بد من قبل الوصول إليها، أن تغسل يديك. أن تتطهر مما حملت. وأن تضع الحمل كله، خيره وشيره، كامله وناقصه، ما قلته وما لم تقله، ما فعلت وما لم تفعل، ما قدمت وما أخرت، لكي تاتي النهاية كما يحسن أن تاتيها طاهر اليبين، إن لم يكن خوفا من فيروس، فخوفا مما تركت خلفك.

هي النهاية نفسها. العدو الذي يلاحقنا في كل مكان، والذي يجروا على أن يحشرنا خلف أبواب مغلقة، ليس عدوا فقط. إنه دعوة جامعة أيضا، لكي يغسل الكل يديه.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العيقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

